

مواقف تونسية متناقضة من الإسلام السياسي: احتفاء بحماس وعداء للنهضة

طريقة استقبال سامي أبوزهري تثير جدلا واسعا



أثارت طريقة استقبال الناطق باسم حركة حماس الفلسطينية سامي أبوزهري في تونس جدلا واسعا، خاصة أن الرجل الذي ينتمي إلى حركة إسلامية حظي بحفاوة كبيرة من قبل النخب التي تزعم معاداة تيار الإسلام السياسي ما شكل مدعاة للتساؤل عن أسباب ذلك، خصوصا أن هناك من رأى الأمر يعود إلى جهل تلك الأوساط بطبيعة الحركات الإخوانية.

صغير الحيدري
صحافي تونسي

تونس - سلطت زيارة الناطق الرسمي باسم حركة حماس الفلسطينية سامي أبوزهري إلى تونس مؤخرا الضوء على مواقف النخب التونسية، لاسيما السياسية منها، المتناقضة تجاه تيارات الإسلام السياسي. ففيما تبدي تلك النخب عداء مطلقا لحركة النهضة الإسلامية في تونس إلا أنها احتفت بالناطق باسم الحركة الفلسطينية وهو ما أثار جدلا واسعا خاصة أن الحركتين خرجتا من نفس الرحم: الإخوان المسلمون. وكان الناطق باسم حماس قد أدى في وقت سابق زيارة إلى تونس أكد خلالها أنه يتم التحضير لزيارة سيؤديها رئيس المكتب السياسي للحركة إسماعيل هنية إلى البلاد في أعقاب التصعيد بين إسرائيل والفصائل الفلسطينية في غزة أو ما بات يعرف بحرب الأحد عشر يوما.

وتتباين تفسيرات المواقف المتناقضة لكونها المشهد السياسي، التي تبدي معارضة شديدة لتيارات الإسلام السياسي في تونس بينما تمد يدها لتيارات تنتشط خارج البلاد على غرار حماس - بين من يرى أن ذلك نتاج لعدم فهم طبيعة الحركات الإخوانية وأجنداتها وبين من يعتبر أنه يندرج في سياق شعبي باعتبار ما أقره التصعيد في غزة من مكاسب لحماس سواء على الصعيد الداخلي أو على الصعيد الخارجي وبالإسناد عودة القضية الفلسطينية إلى صدارة الاهتمامات العرب.

من بين هؤلاء رئيس حركة النهضة الإسلامية راشد الغنوشي الذي لم يتفاجأ التونسيون باستقباله للناطق باسم حماس بقدر ما أثار استقبال الرجل من قبل تظاهرات تهاجم معاداة الإسلاميين - على غرار حزب العمال الشيوعي أو الاتحاد العام التونسي للشغل الذي تعهد في وقت سابق بالتصدي للخيارات الإخوانية وغيرها من التصريحات القوية المناهضة للإسلاميين - جدلا واسعا.

ويُرجع متابعون للسان السياسي في تونس الحفاوة التي حظي بها أبوزهري مقابل معاداة حركة النهضة إلى الشعبية التي باتت تمثل تيارا جارفا مر بجل الأحزاب السياسية والمنظمات في البلاد.

وقال المحلل السياسي محمد صالح العبيدي إن "الشعبوية هي التي تقف وراء تلك الحفاوة لأن هناك أحزابا تواجه شيخ الأندثار وهناك منظمات تواجه أزمات داخلية لذلك تلجأ إلى مثل هذه الحركات لاستعادة الشعبية أولا ولتجاوز الخلافات الداخلية ثانيا بصرف النظر عنها".

وأضاف العبيدي في تصريح لـ"العرب" أن "حمة الهمامي مثلا يترك جيدا تدني شعبيته وكان ذلك واضحا وجليا خلال مشاركته في الانتخابات الرئاسية، لذلك يستنجد بأي وسيلة قد تجعله يعود إلى المزاومة على الرئاسة أو غيرها من الاستحقاقات، لاسيما في ظل الهوس بالزعامة في البلاد".

وتابع "أيضا ذلك لا يخفي أن هناك نخباً تونسية تعتبر حركة حماس مقاومة، أما بالنسبة إلى النهضة فهؤلاء يحملونها مسؤولية ما حصل طيلة السنوات العشر من عبث بالمؤسسات الحكومية وتدهور اقتصادي. واعتقد أن هذا صحيح؛ فحركة النهضة تتحمل المسؤولية الكبرى عما آلت إليه الأوضاع في تونس لكن التيارات الإسلامية في النهاية تبقى لها الأيديولوجيا نفسها".

واستنتج العبيدي أنه "في النهاية هناك من يسائر الغالبية وما تقوله لكسب نقاط؛ فلا يمكن نفي أن يكون هناك نوع من المتاجرة في إطار المبالغة في طريقة استضافة هذا القيادي بحماس، فالقضية الفلسطينية - شأنها شأن أي ملف آخر سواء كان وطنيا أو دوليا - تتم المتاجرة بها والمزاومة عليها، أما وطنيا فهناك مثلا ملف الفساد في تونس تتم المزاومة بشأنه للظهور في ثوب العفة والطهارة. الأمر نفسه ينطبق على القضية الفلسطينية".

المشكل فكري

في المقابل تذهب أوساط تونسية إلى تفسير التناقضات التي ما انفكت تطرا على الأحزاب السياسية التي تصنف نفسها ضمن القوى التي تحمل لواء الدفاع عن مدينة الدولة والمعاداة للإسلام السياسي بالجهل بطبيعة الجماعات الإخوانية التي تتحالف مع بعضها البعض.

ودأبت تلك الأحزاب على إيجاد مبررات للدخول في تحالفات مع تيارات الإسلام السياسي محليا، لكنها مع حماس هذه المرة بدت أكثر وضوحا وكأنها تسعى إلى تجنب الحرج أمام عامة الناس الذين لم يتوانوا في إبداء تحمسهم لانتصارات المقاومة".

ومع ذلك يرى مراقبون أن هذه التحالفات وإن كان المنخرطون فيها يروجون لها على أنها تكتيك سياسي أو تحالفات الضرورة فإنها تعكس جهلا بفكر التظيمات الإخوانية.

ويقول المحلل السياسي والمؤرخ التونسي عبد الجليل بوقرة إن "بعض التكتيكيين إما من باب الجهل بحقيقة المسؤولية الكبرى عما آلت إليه الأوضاع في تونس لكن التيارات الإسلامية في النهاية تبقى لها الأيديولوجيا نفسها".

يقترنون من تيار الإسلام السياسي مثل ما حدث عام 2005 في تونس عندما تم تشكيل ذلك التحالف الغريب العجيب بين الشيوعيين والماركسيين والإسلاميين والعروبيين". وفي 18 أكتوبر 2005 تم تشكيل "هيئة 18 أكتوبر للحقوق والحريات" التي هي بمخاطبة تجمع لمعارض الرئيس التونسي الراحل زين العابدين بن علي من إسلاميين ويساريين وعروبيين، بعد أن قام قياديون من مختلف تلك التوجهات بإضراب جوع في ذلك العام انتهى بإعلان تشكيل هذه الهيئة لمواجهة "استبداد بن علي".

وأوضح بوقرة في تصريح لـ"العرب" أننا "الآن نرى تقريبا ماثلا من التكتيكيين مع حماس بحجة مواجهة الاحتلال الإسرائيلي وإنجازات حق الفلسطينيين في إقامة دولة عاصمتها القدس، وهو تقارب ناتج عن الجهل والامية السياسية. ولا أتصور أن المشروع الإسلامي يؤمن بالوطنية وبالذولة الوطنية، ومشروعهم النهائي مشروع الخلافة والخلافة تعني الأمة الإسلامية وليست الأمة التونسية أو الفلسطينية وفي تصورهم ما الوطن كما قال سيد قطب سوى حفنة من التراب العفن".

وأكد أن "القادة اليساريين مثلا هم شبه أميين، هم لا يقرؤون، ولا يعرفون أسس المعرفة التاريخية والفلسفة والفكر السياسي،

كل هذه الأشياء يجدها قادة اليسار في تونس"، مضيفا أن "معلومات هؤلاء القادة الفكرية والسياسية والفلسفية منقوصة، لذلك يرتكبون أخطاء شنيعة ويصبحون عاجزين عن تقدير الموقف، لا يرون من الأحداث الأخيرة في غزة غير الصواريخ ولكن لا يرون النتائج ومن استفاد؛ استفاد (بنيامين) نتانياهو والإخوان فقط في الوقت الذي دفع فيه المواطن الفلسطيني الثمن غالبا".

وشدد على أن "هناك الليبراليين أيضا - مثل المرحوم الباجي قائد السبسي - الذين لم يحسموا مواقفهم بعد من الإسلام السياسي ومن التقليديين، ولديهم وهم إمكانية تغير التيار الإسلامي وأن تكون هناك نقاط التقاء معهم، وهذه الدوافع تجعل من الصراع السياسي في تونس معقدا ومكلفا وطويل المدى. اعتقد أن هذا وانتهى التصعيد في غزة بين الفصائل الفلسطينية وإسرائيل في 21 مايو الماضي بعد أن أودى بحياة نحو 250 فلسطينيا، وإصابة ما يزيد على 1900 آخرين في القطاع الخاضع لسيطرة حماس.

انتقادات حقوقية

على صعيد آخر أحدث استقبال النقابة الوطنية للصحافيين التونسيين الناطق باسم حماس صدمة لدى العديد من الأوساط التي لم تتوان في توجيه سهام النقد للنقابة بسبب سجل حماس الحقوقي في قطاع غزة.

ونظمت النقابة، التي لطالما واجهت اتهامات من الإسلاميين وطبيعة الحقيقة أو جوشهم الإلكترونيات بانها تحت سيطرة اليسار التونسي، قبل أيام مؤتمرا صحافيا لسامي أبوزهري كشف فيه العديد من المعطيات بشأن التصعيد الأخير

هل حصر التونسيون معركتهم مع الإسلاميين في النهضة؟

في قطاع غزة وكذلك تحدثت عن زيارة محتملة لإسماعيل هنية إلى تونس. ورغم أن العديد من الصحافيين ينظرون بعدم الرضا لهذا الاستقبال إلا أن أصواتا قليلة ارتفعت على استحياء منددة به لاسيما في ظل الهيستريا التي باتت تسيطر على الغالبية في تونس والتي صارت ترفض أي اختلاف خاصة في قضية أضفوا عليها نوعا من القداسة وهي القضية الفلسطينية.

التحالفات مع الإسلاميين وإن كان المنخرطون فيها يروجون على أنها تكتيك سياسي فإنها تعكس جهلا بفكر الإخوان

وندد الصحافي والكاتب التونسي هادي يحميد بهذا الاستقبال من قبل "النقابة التي لطالما دافعت عن الحريات العامة والحرية".

وقال يحميد في تصريح لـ"العرب" إن "استقبال ممثل حركة حماس الإسلامية في مقر نقابة الصحافيين التونسيين خطأ كبير"، موضحا أنه "في عقيدة حماس لا حقوق للنساء ولا للأقليات بل اعتداء عليها وهذا يخالف مبادئ نقابة الصحافيين التونسيين".

وتابع "في عقيدة حماس باسم البندقيّة وصواريخ الكاتيوشا التي توجهت ضد الاحتلال عليك أن تصمت أمام انتهاكات الداخل وأخرها الاعتداء على صحافية فلسطينية بالعصي لأنها لا ترتدي زيا محتشما؛ لا يمكن باسم المقاومة أن تزيك فركا رجعيًا متخلفا في مقر نقابة ميقاتها يدافع عن الحريات، ساندت تقرير المساواة وحقوق الأقليات لا يمكن أن تكون النقابة ذاتها التي تستقبل ناطقا باسم حركة رجعية لا تعترف بالمساواة وبالأقليات وتنتهك حقوق الإنسان، باسم المقاومة يجب أن تصمت على انتهاك حقوق الإنسان لأنه لا صوت يعلو فوق صوت المعركة".

وأردف منتسقا "أي مقاومة هذه التي تريد تحرير الأرض وتسجن الإنسان، المقطبات بشأن حقوق جمعيات بقادة سياسيين، فاجأت المتابعين.



أبوزهري أجرى لقاءات مع أحزاب لطالما تغنت بالتصدي للإسلاميين مثل حزب العمال الشيوعي وحركة الشعب التي تعادي الإخوان لكن صارت تدعمهم في فلسطين